التأمل الوجودي في شعر شعراء الرابطة القلمية: استكشاف الجوانب الفلسفية والنفسية

١- د.حسين تكتبار فيروزجائي؛ استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم.

٢- د. مصعب فرج مهدي؛ طالب الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم.

٣- د . مهدي ناصري؛ استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم.

1- Hossein Taktabar Firouzjai: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Qom University Arabic Language and Literature,

h.taktabar@qom.ac.ir

2- Mosab Faraj Mahdi: PhD student, Department of Arabic Language and Literature, University of Qom.

3- Mahdi naseri: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Qom University Arabic Language and Literature.

M.Naseri@qom.ac.ir

استلام البحث: ٢٠٢٥/٧/٥م

نشر البحث: ٢٠٢٥/٩/٣٠م

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

تتعلق مشكلة البحث بالتأملات الوجودية التي تتجلى في شعر شعراء الرابطة القلمية، حيث يسعى الكثير من الكتّاب والشعراء إلى الغوص في أعماق النفس البشرية واستكشاف الأسئلة الوجودية المتعلقة بالحياة والموت، والمعاناة والهوية. يمثل الشعر وسيلة تعبيرية مهمة تتيح للشعراء التواصل مع تجاربهم الداخلية وتقديم تأملاتهم حول الوجود، وهو ما يجعل هذا الموضوع ذو أهمية خاصة نظرًا للصراعات الوجودية التي قد يواجهها الأفراد في حياتهم. ومن ثم، يهدف هذا البحث إلى تحليل هذه التأملات ومعرفة كيفية صياغتها شعريًا .يعتمد موضوع البحث على فهم التأمل الوجودي كما يتمظهر في أشعار مجموعة من شعراء الرابطة القلمية، الذين أبدعوا في تقديم رؤى فلسفية ونفسية للوجود. تشمل الرابطة القلمية مجموعة من الشعراء العرب الذين هاجروا إلى الأمريكيتين في القرن العشرين، ومن بينهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة. يتمحور البحث حول كيفية تصوير هؤلاء الشعراء لمشاعر إنسانية عميقة عن طريق أفكارهم حول الحياة، والافتقار إلى المعنى، والحنين إلى الوطن، والاغتراب. تتجلى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الأبعاد الفلسفية والنفسية للشعر الوجودي، مما يوفر فهمًا أعمق لتوجهات شعراء الرابطة القلمية في التعبير عن قضايا الوجود. من خلال استكشاف الأساليب الشعرية التي استخدموها، يمكن للقارئ أن يدرك كيف أن هذه الأساليب تعكس التوترات النفسية التي رافقت حياة الشعراء. كما يُعزز من قدرات الباحثين في مجال الأدب العربي على تحليل النصوص الأدبية عبر أبعاد جديدة ومبتكرة. يستهدف البحث تحليل التأملات الوجودية واستكشاف الجوانب الفلسفية والنفسية في شعر شعراء الرابطة القلمية. لتحديد هذا التأمل ومعانيه، سيتم استخدام منهج تحليلي يعتمد على دراسة النصوص الشعرية بشكل منهجي، مع التركيز على الرموز والأساليب اللغوية والفكرية المستخدمة في هذه النصوص. وفضلا عن ذلك، سيتم الاعتماد على الآراء النقدية المتعلقة بالشعر الوجودي لاستنتاج التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي كانت تحيط بالشعراء .من هذا البحث، تشير النتائج إلى أن شعراء الرابطة القلمية قد استخدموا أساليب متنوعة لتعبر عن تأملاتهم الوجودية، حيث برزت مواضيع مثل الحنين والشعور بالاغتراب، وفضلا عن البحث عن الهوية والمعنى. كما وُجد أن الشعراء يعبرون عن تجارب شخصية عميقة تعكس المعاناة الإنسانية بشكل عام، مما يعزز من القيم الفنية والشعرية لأعمالهم. بفضل هذه الدراسة، يمكن للقارئ أن يقدر كيف أن الشعر الوجودي يكاد يمثل صرخة من أجل الفهم والتواصل مع المشاعر العميقة التي يعيشها الإنسان، مما يجعله جزءًا حيويًا من الأدب العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: أدب المهجر، شعراء الرابطة القلمية، التأمل الوجودي، الفلسفة، الشكل والمضمون.

المقدمة

يُعد أدب المهجر أحد الحركات الأدبية البارزة التي برزت في بداية القرن العشرين، حيث اهتم الشعراء والمفكرون العرب الذين هاجروا إلى الأمريكتين بالتعبير عن تجربتهم الإنسانية والاغتراب عن الوطن. ومن بين هذه الحركات الأدبية، تأتي الرابطة القلمية كأحد أبرز التجمعات الشعرية التي ضمت عددًا من الشعراء البارزين مثل جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة. تشكل أعمال هؤلاء الشعراء نقطة انطلاق مهمة لفهم كيف تفاعل الأدب مع القضايا الوجودية والنفسية في سياق التجربة المهاجرة.

تتميز أشعار الرابطة القلمية بتناولها موضوعات عميقة تتعلق بالوجود، حيث يعبر الشعراء عن مشاعر الحنين، والاغتراب، وتأملات النفس البشرية. يتناول التأمل الوجودي في شعرهم الأسئلة الفلسفية المتعلقة بمعنى الحياة، وهو ما يعكس رغبتهم في فهم الوجود من خلال تجاربهم الشخصية. من خلال استخدامهم للرموز الشعرية والأسلوب المجازي، ينجح شعراء الرابطة في تصوير تعقيدات الوجود الإنساني بشكل يجذب القارئ إلى التفكير في مشاعره وأفكاره.

تتداخل الفلسفة وعلم النفس بشكل كبير في أعمال شعراء الرابطة، حيث يستمد الشعراء أفكارهم من مفاهيم وجودية متنوعة. يتطرقون إلى مسائل الوجود، والمعنى، والبحث عن الهوية، مما يُظهر تأثير الفلاسفة مثل نيتشه، وسارتر، وكيركيغارد على كتاباتهم. وتجسد هذه الأفكار رؤية جديدة للوجود معبرة عن صراعات النفس واستكشافاتها في عالم مليء بالتحديات. من الجدير بالذكر أن الشكل والمضمون في شعر الرابطة القلمية يتكاملان لتعزيز الرسالة الفلسفية والنفسية التي يسعون لإيصالها. يستخدم الشعراء تنوعًا في الأساليب الشعرية، بما في ذلك الصور الشعرية، والتكرار، والإيقاع، لتصوير مشاعر الاغتراب والأمل والخسارة. هذا التنوع يعكس أيضًا التجربة الفنية الفريدة التي عاشها الشعراء في المهجر، حيث تُظهر أشعارهم تفاعلهم العميق مع البيئة المحيطة والتجارب اليومية. إن التأمل الوجودي في شعر شعراء الرابطة القلمية لا يقتصر على كونه تعبيرًا عن مشاعر الفرد، بل يتعداه ليكون دعوة للتفكير في تجربة الوجود البشرية بشكل عام. من خلال استكشاف هذه الأبعاد، يُمكن للقارئ أن يتأمل في التحديات والأسئلة الوجودية التي يواجهها الناس في كل زمان ومكان. يمثل هذا الإبداع الشعري رافدًا غنيًا للثقافة العربية، حيث يساهم في تشكيل الوعي الإنساني عبر التاريخ. في الختام، يبرز التأمل الوجودي في شعر شعراء الرابطة القلمية كظاهرة أدبية ثقافية تعكس صراعات الإنسان وفلسفته في الحياة، مما يجعلها موضوعًا مثيرًا للدراسة والتحليل. ستُسهم هذه الجوانب في توفير فهم أعمق لكيفية تعامل الشعراء مع قضايا الوجود والهوية في سياق حياتهم في المهجر.

اللغة والأسلوب في شعر شعراء الرابطة القلمية

تُعبر لغة شعراء الرابطة القلمية عن توجهاتهم الفكرية والوجدانية، حيث يركزون على توصيل أفكارهم بوضوح وبساطة. لم يكن اهتمامهم منصبًا على انتقاء الكلمات الراقية أو التلاعب بالألفاظ، بل كان غرضهم الأساس هو نقل معانيهم بشكل مباشر وبأسلوب سهل الفهم. تدل هذه البساطة على رغبتهم في أن تكون رسالتهم قريبة من القارئ، مما يُسهل على المتلقي التفاعل مع النصوص والتفكر فيها. تُظهر هذه الاستراتيجية أهمية المضمون على الشكل، حيث يُعتبر توضيح الفكرة وتجسيد التجربة الداخلية هما الهدف الأسمى للشعر.

تعكس اللغة المستخدمة من قبل هؤلاء الشعراء عقلية معاصرة تُقدِّر عمق المعاني على حساب البهرجة الزائفة. فهم يُفضلون الألفاظ التي تُسهِّل عملية التعبير عن التجارب الإنسانية وأكثر قدرة على الإيصال. هذا يعني أن الشاعر لم يعد يُعتبر مُجرد مُزخرف لغوي، بل هو مُعبِّر عن رؤية وجودية عميقة. لذا، يُمكن القول إن الشعراء يُشكلون نصوصهم بأسلوب حيوي وواقعي، مما يساعد في تعزيز ظاهرة الارتباط بين الشاعر وقارئه، ويُعيد الشاعر فعلاً إلى صميم التفاعل الإنساني القائم على المشاركة والتفكير الجماعي.

لم يكن شعراء الرابطة القلمية في قصائدهم التأملية يحفلون كثيرا بانتقاء اللفظة وإنما انصب اهتمامهم على توصيل أفكارهم ومواقفهم من الحياة والكون، وغالبا ما يميلون إلى الألفاظ السهلة، والبسيطة لأن غرضهم الفكرة بالدرجة الأولى، فاللغة عندهم ما هي «إلا وسيلة لنقل الأفكار والمعاني وليست غاية في حد ذاتها، وأنها يجب أن تكون من المرونة بحيث يسهل إخضاعها للمعاني القوية الحية لا أن تخضع لها المعاني القوية الحية»[١] يمثل شعراء الرابطة القلمية تجربة فريدة في الأدب العربي الحديث، حيث يبرزون كـــ"شعراء معان" بدلاً من أن يكونوا مجرد مُتلاعبين بالألفاظ. تعتمد قريحتهم الشعرية على القدرة على تجسيد الأفكار العميقة والمواقف الوجودية باستخدام لغة بسيطة ومباشرة. لم يستسلم هؤلاء الشعراء لتقنيات الزخرفة أو العبارات المتكلفة التي تخدر المعنى، بل كانوا يميلون إلى الربط بين الفكرة واللفظ بطريقة طبيعية تُعبر عن تجاربهم الإنسانية بصدق. تعكس هذه الروح التلقائية توافقاً مدهشاً بين الفكرة الفلسفية والعاطفة الشعرية، مما يؤدي إلى إنتاج نصوص ترتبط بالواقع الإنساني وتكون قادرة على جذب القراء بفطرتها.

---

(١) الناعوري، عيسى: أدب المهجر (ص ٦٤).

ومع ذلك، فقد تعرض شعراء الرابطة القلمية لهجمات من بعض النقاد والدارسين الذين أصدروا أحكامًا جائرة بحقهم. ترى هؤلاء النقاد أن البساطة في التعبير قد تعني غياب العمق أو الافتقار إلى الجدية، ولكن هذه النظرة تجانب الصواب في كثير من الأحيان. فالشعراء الذين يعتبرون الأفكار أولوية على الشكل لا يعني أنهم يقللون من قيمة الفن الشعري؛ بل إنهم يقدمون رؤى فلسفية عميقة بطريقة تُناسب روح العصر وتُعبر عن تجارب الإنسان المهاجر. إن فهمهم لجوهر الشعر كوسيلة للتعبير عن المعاناة والأمل يجعلهم روادًا في هذا المجال، ولذا فإنه من المهم النظر إلى أعمالهم بعين الرحابة وعدم التسرع في الحكم عليها دون تقدير لخصوصيتها وجوانبها النقدية المعقدة.. فهذا صلاح لبكي في كتابه لبنان الشاعر يذهب إلى أن شعراء المهجر عموما لم يحسنوا التوفيق بين الألفاظ والأفكار بل كثيرا ما ضحوا باللفظ من أجل المعنى[١] .

وفي هذا مبالغة وتجن على شعراء المهجر لأن هؤلاء وإن خالفهم الحظ أحيانا في التوفيق بين الألفاظ والمعاني قد حالفهم في الغالب الأعم إلى التوفيق بين الشكل والمضمون، بل إن هؤلاء على الرغم من إيغالهم أحيانا – في الفكر والفلسفة والتصوّف استطاعوا أن يكتبوا شعرا رائعا يهز النفس. فالشعر عندهم ليس تلاعبا بالألفاظ أو ترصيعا وتنميقا إنما رؤية وفكرة تأتي فيما يناسبها من الألفاظ والعبارات. وعلى الرغم من أن لغة شعراء الربطة القلمية تنزل إلى مستوى النثر أحيانا كما هي لدى ميخائيل نعيمة وجبران في مطولته المواكب وندرة حداد في بعض قصائده إلا أنه غالبا ما كانت موشاة بألطف التعابير والصور والخيالات التي يصبح معها النثر شعرا جميلا ذا رنين ساحر، لذلك نرى أن لغة جبران ولغة ميخائيل في النثر عينهما في الشعر أيضا. وهما في الحالتين جميلتان في تعابيرهما الفنية والشعرية[٢]

تُعد الكلمة أو اللفظة في الأدب أداة محورية يستخدمها كل من الناثر والشاعر، ولكن الشاعر يتمكن من رفع هذه اللفظة إلى مستوى الشعرية بفضل طريقة استخدامها وسياق النص. في هذا الإطار، يُصبح السياق هو العنصر الأساسي الذي يحدد ما إذا كانت الكلمة تُعتبر شعرية أو نثرية، مما يُظهر أن الشاعر لديه القدرة على تحويل المعنى العادي لكلمات بسيطة إلى عوالم دلالية عميقة. هذا التحويل يتطلب فنيات معينة، تتيح للشاعر أن يُضفي جمالًا وعمقًا على اللغة، مما يجعل القارئ يتفاعل مع النص على مستويات متعددة.

وفضلا عن ذلك، ففي سياق شعراء الرابطة القلمية، نجد أنهم يتبعون النهج الرومانسي الذي يعكس مرونة مفهوم اللفظة. فلم يكن لديهم تمييز صارم بين الكلمات، حيث لم ينظروا إلى لفظة بأنها

١البكى، صلاح: لبنان الشاعر (ص ١٤٤).

٢الناعوري، عيسى : أدب المهجر (ص ٦٩).

شريفة وأخرى وضيعة. بدلاً من ذلك، يُنظر إلى الكتابة الشعرية على أنها تعتمد على كيفية توظيف الشاعر لهذه الكلمات في سياقات معينة. إن هذه الفلسفة تُبرز الفكرة القائلة بأن القيمة الأدبية للكلمة تتحدد بجودتها في التعبير عن التجربة الإنسانية وحضورها العاطفي، مما يعكس التقدير العميق للغة كأداة ديناميكية تُغذي الشعر وتعبر عن التجربة الذاتية وبذلك، يؤكد شعراء الرابطة القلمية على أهمية الاستخدام الذاتي للكلمة، مُجسدين فكرة أن الشعر يكمن في المعاني التي تُستخرج من الكلمات بطرق تجعلها تتجاوز حدودها المعتادة. فالكلمة المألوفة لها تأثيرها في النفس إذا استطاع الشاعر أن يبث فيها من روحه حتى تستوى لديه فنا خالصا لا عيب فيه. وهذا ما استقام الشعراء الرابطة القلمية مما يجعلنا نؤمن بمقدرة هؤلاء على تطويع اللغة وترويض الأفكار في أشعارهم التأملية وهكذا جمع هؤلاء في أكثر قصائدهم بين «دقة الإفصاح وجمال التركيب وعذوبة الرنة وحلاوة الحقيقة»[١] على حد تعبير نعيمة ونأخذ هنا مثالا لذلك قصيدة «الغدير الطموح» لأبي ماضي حيث نلحظ سهولة الألفاظ ولطافة الإيراد وذلك التسلسل الذي يقضي إلى الفكرة الأساسية في البيت الأخير.

قال الـــغدير لنفسه　　يا ليـــتني نهـــر كبـــير
مثل الفرات العذب أو　　كالنيل ذي الفيض الغزير
تجرى السفائن موقرات　　فيـــه بالـــرزق الـــوفير
هيهيات يرضى بالحقير　　من المـــنى إلا الحـــقير
وانســـــاب نحو النهر لا　　يلوى على المرج النضير
حـــتى إذا ما جـــــاءه　　غلب الهدير على الخرير[٢]

يعبر الغدير عن رغبة ملحة في أن يكون نهرًا كبيرًا، مما يدل على عدم الرضا عن الوضع الراهن والشعور بالضآلة. في هذا النسق، عكس الشاعر حالة من الغربة النفسية، حيث يُشير إلى الفرات والنيل كرموز للثراء والوفرة، مما يبرز التناقض بين الطموح الشخصي والواقع الذي يعيشه. يُظهر هذا التوجه الباحث عن قيمة أكبر في الحياة، وينطوي على بحث عن المعنى الأعمق وجوديًا، مما يعكس النزعة التأملية في النص.

وفضلا عن ذلك، إذ تتجلى في البيت الأخير فكرة الرفض للعيش في الأماني القليلة، حيث يشير الغدير إلى أن التطلعات العالية ينبغي أن تُقابل باستعداد لتحمل المسؤولية. يتضح من هذا التوجه أن هنالك إدراكًا لأهمية الجهد والعمل لتحقيق الأهداف، مما يُبرز الجوانب النفسية للفرد في سعيه نحو الأحلام.

١نعيمة، مخائيل: الغوبال (ص ٧٢).

٢أبو ماضي، إيليا: الديوان (ص ٣٦١).

تعكس هذه النقاط التركيبية شعور القلق والتوتر الذي يلازم السعي نحو النماء، مما يوحي بأن التأمل وجودي يحتاج إلى المصداقية في تطلعات الإنسان، وبالتالي يُثري النص بالمفاهيم الفلسفية العميقة التي تشد القارئ للتفكير في قيمة الحياة وطموحاتها.

يُعد الشاعر أبي ماضي من أبرز شعراء الرابطة القلمية، حيث يتحلى بالقدرة على دمج الأفكار العميقة مع أسلوب شعري مميز. في قصيدته المعنية، يبرز اهتمامه بالفكرة الأساسية التي تُعبر عن الطموح البشري وتأثيره على الهوية الفردية. تُشير هذه الفكرة إلى أن السعي وراء الطموحات قد يؤدي إلى فقدان الشخص لذاتيته وتفرده، مما يعكس تجربة إنسانية شائعة يعاني منها الكثيرون في ظل ضغوط الحياة المعاصرة.

ما يُميز أبي ماضي هو أسلوبه الفريد في توصيل هذه الفكرة. لم يتبع الشاعر الأسلوب التقليدي للوعظ والإرشاد، بل استخدم الرموز كوسيلة فعالة لنقل أفكاره. هذا الخيار يُظهر وعيه بقدرة الرموز على مُعانقة القارئ وإيصال الرسائل بشكلٍ أعمق وأكثر تأثيرًا. عن طريق استخدام الرمز، يفتح الشاعر أمام القارئ أبوابًا متعددة للتأويل، الأمر الذي يُعطي القصيدة قيمة فنية إضافية ويُعزز من جاذبيتها.

وعلى الرغم من أن السرد يُهيمن على بنية الأبيات، فإن القصيدة لم تفقد رونقها أو جمالها. فقد استطاع أبي ماضي الحفاظ على الإيقاع الشعرية والجمالية عبر استخدام اللغة الملائمة والصور الشعرية التي تخلق تواصلًا حيويًا مع القارئ. يُظهر هذا النوع من الكتابة كيف يمكن للسرد والإخبار أن يتمازجا مع الجماليات الشعرية، مما يعكس القدرة الفائقة للغة على التعبير عن المشاعر والأفكار بطرق مبتكرة وملهمة. في النهاية، فإن خبرة أبي ماضي في اختيار الألفاظ واستخدام الرموز تسهم بشكل كبير في جعل قصيدته تجربة عميقة تمس وجدان القارئ وتدفعه للتفكير في معاني الحياة والطموح الفردي.

وإذا كان أبو ماضي الذي ابتدأ حياته الشعرية بالجزالة والرصانة الكلاسيكيتين استطاع أن يتخلص منها نسبيا فاهتدى إلى اللفظ السهل والعبارة الرشيقة فكيف بأصحابه جبران ونعيمة ونسيب الذين بدأوا مجددين في شعرهم؟ لا شك أنهم كانوا أكثر استعمالا للفظ المألوف منه لأنه بقي يقف وسطا بين الرصانة والبساطة في التعبير. لقد كان معجم جبران اللغوي يقوم في أغلبه على اللفظ المألوف فيما كتبه من شعر تأملي وبخاصة في أشعاره التي كتبها في «البدائع والطرائف» حتى في التعبير عن موضوعات صعبة كالصوفية. يقول جبران في مقاله لكم لغتكم ولي لغتي»: «لكم منها (أي اللغة العربية) القواميس والمعجمات ولي منها ما غربلته الأذن، وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس، تتناوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم[١] ولعل الجبران تأثيرا كبيرا في شعراء الرابطة القلمية في استخدامهم للغة المألوفة، فقد

١) جمع رضا محي الدين: ١٩٢٤ ، بلاغة العرب في القرن العشرين (ص ٥٢) ط٢، المطبعة الرحمانية بمصر

استطاع أن يتميز بلغته وأسلوبه إلى درجة جعلت منه مدرسة في طريقة التعبير . «ونظرة جبران الخاصة في الحياة والإنسان هي التي استلزمت شكلا تعبيريا خاصا، وبما أن هذه النظرة جديدة ضمن الموروث العربي على الأقل فإن شكل التعبير عنها جاء ضمن هذا الموروث جديدا هو كذلك»[١] كما يقول أدونيس. ولنأخذ مثالا للفظة المألوفة والمأنوسة لدى جبران والتي تقترب من العامية لبساطتها وسهولتها حتى إن جبران وضع كلمة «تحمم بدل استحم» الفصيحة، لعدم تمكنه من اللغة العربية.

هل تخذت الغاب مثلي مـــــنزلا دون القصور
فتــتبعت السواقي وتســــلّقت الصخور ؟
هل تحمــمت بعطر وتنــشفـــــت بنور
وشربت الفجر خمرا في كـــــؤوس من أثير ؟
أعطـــني الناى وغنّ وانـــس داء ودواء
إنمـــا الناس سطور كتـــــبت لكن بماء
ليت شعري أي نفع في اجتــماع وزحام
وجـــــدال وضجيج واحتجـــاج وخصام[٢]

يتجلى التأمل الوجودي عن طريق الأسئلة الاستنكارية التي يطرحها الشاعر، مما يكشف عن حالة عميقة من الانشغال بالذات واستكشاف الهوية. في الأسطر الأولى، يتسائل الشاعر عن العلاقة بينه وبين الطبيعة، مما يعكس رغبته في الانتماء والتواصل مع عناصر الحياة الأساسية. استخدامه للتشبيهات مثل "العطر" و"نور" في سياق الطبيعة يُظهر بحثه عن الصفاء والبهجة، دلالة على سعيه للهروب من التعقيدات الحياتية. وتتجلى الجوانب النفسية في تأمل الشاعر حول حالة البشرية بشكل عام، حيث يُشير إلى الناس كـــ "سطور كتبت بماء"، مما يعبّر عن فكرة فناء الإنسان وضآلة تأثيره في زحام الحياة. يطرح الشاعر تساؤلات حول جدوى الوجود في وسط الزحام والصراعات، مما يُظهر شعورًا بالغموض والقلق الوجودي. تبرز هذه التأملات رغبة في تقليب مفاهيم الحياة واستكشاف المعاني الحقيقية للوجود، مما يجعل النص تنويعًا فلسفيًا غنيًا يُعبر عن صراع النفس مع الحقيقة ومع تعقيدات الحياة.

تُشير السهولة واليسر في شعر الرابطة القلمية إلى فلسفة عميقة لدى شعرائها، حيث كانوا يبتعدون عن التعقيدات اللغوية والاختيارات الغريبة التي قد تُعجب نقاد اللغة في المشرق. بدلاً من ذلك، كانت لغتهم تتدفق بسلاسة تعكس عواطفهم الصادقة وتجاربهم الإنسانية. يُظهر هذا النهج كيف أن الشعر لا

١أدونيس : ١٩٧٨ الثابت والمتحول (ج ٣) صدمة الحداثة (ص ١٩٥) ط ١ ، دار العودة بيروت

(٢) جبران، جبران خليل المواكب (ص٣٩).

يحتاج إلى لغة مُستعارة أو معقدة ليكون مؤثرًا، بل يتطلب صراحة وصدقًا يُمكنهما أن يُوصلا القارئ إلى عمق المعاني. فعن طريق جعل اللغة تنساب بشكل طبيعي، تمكن هؤلاء الشعراء من تكوين روابط قوية مع قرائهم، مُجسدين مشاعرهم وفكرهم بشكل يُحاكي التجربة الحياتية. وهم لا يكتفون بالاستعمال المعجمي للكلمة وإنما يعطونها دلالات عدة ويشتقون منها ما يخدم أفكارهم. فاللغة تتطور بتطور الفكر وتغنى بغناه وليست أداة جامدة، واللغة رمز قيمتها فيما ترمز إليه من فكر وعاطفة وما تومئ إليه من مشاعر، لذلك نجد ألفاظهم موحية لها أبعادها وظلالها في السياق الشعري، ولعل هذا ما جعل دارسا مثل الفرد خورى يقول في شعراء المهجر» إنهم استطاعوا أن يستخلصوا أسرار اللغة فأخذوا باللباب وعرفوا أن اللغة قبل كل شيء إيماءة وإشارة والماحة وصورة[١] لقد ارتبطت الكلمة عندهم بالصورة، وإذا كانت الثورة الرومانسية ثورة بالصورة ولها فإنها كانت كذلك ثورة بالكلمة ولها، وبمقدار ما رأت في الصورة أداتها الوحيدة للرؤية الجديدة رأت في تغيير وضع الكلمة القنطرة التي تصل بها أقصى مدى في رؤاها»[٢] كما يذهب إلى ذلك الدكتور نعيم اليافي.

على أن شعر الرابطة القلمية لم يخل من جزالة الألفاظ ورصانة العبارة في بعض الأحيان، وإن لم يكن شعراؤنا يوفقون في الغالب إلى ما يريدون قوله في بعض أشعارهم الرصينة إذ كثيرا ما ضحوا باللفظة من أجل المعنى من جهة أو حفاظا على الوزن والقافية من جهة أخرى، وهذا ما يدل دلالة واضحة على عدم انسجام نفسيتهم الرقيقة الشفافة مع الرصانة والجزالة في التعبير.

ويقول الشاعر ابو ماضي:

كَأَنِّيَ في رَوضٍ أَرى الماءَ جارِياً

أَمامي وَفَوقي الغَيمُ يَجهَدُ بِالنَشرِ

تَوَهَّمتُهُ هَمّاً فَقُلتُ لَهُ اِنجَلي

فَإِنَّ هُمومي ضاقَ عَن وِسعِها صَدري

بِرَبِّكَ سِر حَيثُ الخَلِيُ فَإِنَّني

فَتىً لا أَرى غَيرَ المَصائِبِ في دَهري

---

(١) خوري ألفرد: الكلمة العربية في المهجر (ص ١٥) دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت

(٢) اليافي، نعيم: ١٩٨١ الشعر العربي الحديث (ص ١١٩) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق

فَأَقشَعَ حَتّى لَم أَشُكَّ بِأَنَّهُ

أَصاخَ إِلى قَولي وَما شَكَّ في أَمري

رَعى اللَهُ ذَيّاكَ الغَمامَ الَّذي رَعى

عُهودي وَأَولاني الجَميل وَلَم يَدرِ

تَظَلَّلتُ بِالأَشجارِ عِندَ اِختِفائِهِ

وَيا رُبَّ ظَلٍّ كانَ أَجمَلَ مِن قَطرِ

جَلَستُ أَبُثُّ الزَهرَ سِرّاً كَتَمتُهُ

عَنِ الناسِ حَتّى صِرتُ أَخفى مِنَ السِرِّ

وَلَمّا شَكَوتُ الوَجدَ وَجدي تَمايَلَت

كَأَنَّ الَّذي أَشكوهُ ضَربٌ مِنَ الخَمرِ

وَأَدهَشَها صَبري فَأَدهَشَني الهَوى

دَهِشتُ لِأَنَّ الزَهرَ أَدهَشَها صَبري[1]

وفي النص مشاعر التشتت والصراع الداخلي بين الرغبة في الهروب من الواقع والحنين إلى الوطن، مما يُظهر الأبعاد العميقة للأحاسيس الإنسانية. يستحضر الشاعر عن طريق جماليات اللغة وصورها المعبرة إحساسًا بالتناقض بين الظاهر والباطن، حيث يُصور نفسه وكأنه في "روض" تنبعث فيه الحياة، بينما تتقاذفه همومه الداخلية. كما يُعبر الشاعر عن انعدام القدرة على مواجهة مصاعب الحياة عن طريق استخدام لغة قوية وتصوير دقيق. عندما يتحدث عن "الغمام" و"الأشجار"، يُظهر الصراع بين الأمل والخيبة، حيث تبدو هذه الرموز مأوىً مؤقتًا من زحام المشاكل. كما يُشير إلى أنه يشكو الأحزان بشكل سري، مما يعكس شعور الوحدة والعزلة في مواجهة التحديات. يستخدم الشاعر صور الزهور وصبره

1 https://www.aldiwan.net/poem8854.html

كتعابير عن القوة الداخلية والجمال الحساس، مما يُعزز التأمل الشخصي العميق في التجربة الإنسانية، وهو ما يفتح مساحة للتفاعل العاطفي السليم لدى القارئ.

فجبران في مطولته «المواكب» التي يزاوج فيها بين بحرىٰ البسيط ومجزوء الرمل كان يبدو ومتكلفا أشد ما يكون التكلف في مقاطعه التي من البسيط، وعبثا كان يحاول أن يطوع العبارة أو اللفظة لبث فلسفته في الحياة إذ لم تكن تسعفه اللغة في كثير من الأحيان وإذا استقام له شيء من ذلك واقع في نثرية ليست بينها وبين الشعر واشجة. فهو كأنما ينحت الألفاظ من صخر وكأنما يرصّ بعضها إلى بعض رصّا لا يستقيم غالبا إلى درجة توقعه في أخطاء لغوية كقوله في المقطع الأول:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفني وإن قبروا
وأكــثر النــاس آلات تحركها أصــابع الدهر يوما ثم تنكسر
فلا تقــولن هــذا إلــم علم ولا تقـــولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر(١)

يشير الشاعر إلى أن الخير في الناس هو نتيجة لظروف معينة، مما يبرز الطبيعة التكيفية للإنسان، ويعكس فكرة أن القيم الأخلاقية غالبًا ما تتشكل وفقًا للضغوط الاجتماعية والزمانية. في المقابل، يُظهر الشاعر أن الشر متأصل في النفس البشرية، مما يعكس حالة من الإحباط حول الكينونة الإنسانية. وتُبرز الصور المستخدمة في البيت الثاني رؤية الإنسان كآلة تُحركها أحداث الزمن، مما يُعبر عن الشعور بالعجز وعدم القدرة على تغيير المصير. عن طريق مقارنة الناس بالقطعان التي تسير خلف صوت الرعاة، ينقل الشاعر فكرة أن الأغلبية تتبع القيم السائدة، في حين أن من يسعون للاستقلالية غالبًا ما يواجهون التهميش والانقراض. هذا التأمل يُظهر تساؤلًا عميقًا حول الهوية والوجود وماهية القيمة الحقيقية للإنسان في عالم متغير.

في هذا المقطع، يظهر جبران خليل جبران وكأنه يكافح بجد لتطويع الكلمات لتناسب المعاني التي يسعى للتعبير عنها، لكن هذه المهمة تبدو صعبة للغاية بالنسبة له. نتج عن هذا الجهد أسلوب جاف يفتقر إلى الجمال والرونق الشعري، مما يجعله يظهر كناظم للكلمات بدلاً من كونه شاعرًا يقدم تجربة شعرية غنية. يعكس هذا الصراع حقيقة أن جبران لم يكن دائمًا قادرًا على إيصال مشاعره بشكل سلس، مما يؤدي إلى فقدان النص للعمق العاطفي وفقدان القدرة على جذب القارئ بشكل فعّال.

علاوة على ذلك، يقع جبران في بعض الأخطاء اللغوية التي تعكس عدم دقة في استخدامه للغة. على سبيل المثال، تحويل كلمة "جبروا" إلى "أجبروا" هو خطأ كان يمكن تجنبه. وفضلا عن ذلك، فإن

(١) جبران، جبران خليل: المواكب (ص: ٢٣)

تكرار كلمة "الناس" أربع مرات يعكس عدم الانسيابية في النص، وكان بالإمكان تفادي ذلك بتنوع المفردات. كما يُشير الخطأ النحوي في البيت الأخير، المتمثل في رفع كلمة "يندثر" التي كان ينبغي تسكينها، إلى عدم التناسق في التعبير. في النهاية، يبدو أن جبران قد حاول جمع مختلف الألفاظ لخلق نص، لكنه جاء بطريقة تُرهق القارئ وتُقلل من تأثير رسالته، مما يجعله في حاجة إلى إعادة النظر في أسلوبه الشعري لضمان تحقيق الهدف الفني المرجو.

ويجمع جبران في قصيدته بين الحنين والغربة ليصور تجربة إنسانية عميقة تعكس آثار الفراق والافتقاد للوطن. إن هذا التعايش بين الأمل في عودة الزمن الجميل والشعور بالألم الناتج عن فقدان الهوية يجسد الصراع الدائم في النفس البشرية. القصيدة تخلق تواصلًا شعوريًا قويًا مع القارئ، مما يجعل من تجربة الحنين والغربة رسالة قوية تنبض بالحياة والألم:

فَفِي حَوَاضِرِهِ الظَّبْيُ المَرُوحُ سَجَا

وَفِي بَوَادِيهِ رِيعَ الضَّيْغَمُ الأَضِمُ

تَلَجْلَجَ الْبَرْقُ إِذْ طَارَ النَّعْيُ بِهِ

وَاسْتَشْعَرَتْ وِقْرَهُ الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

لُبْنَانُ مَادَتْ بِهِ حُزْناً رَوَاسِخُهُ

وَجَفَّ بِالغُوطَوِ الصَّفْصَافُ وَالرَّتَمُ

وَفِي السَّوَادِ عُيُونٌ بِالسَّوَادِ جَرَتْ

وَفِي الحِجَازِ وَ نَجْدٍ لِلْجَوَى ضَرَمُ

مَا حَالُ قَوْمٍ بِمِصْرٍ شَمسُهُمْ كُسِفَتْ

وَتَسْتَهِلُّ فَمَا تُغْنِهِمُ الدِيَمُ

أُمُّ المَدَائِنِ تُمْشِي وَهْيَ جضازَعَةٌ

بِالنَّعْشِ مَشْيَ ثَكُولٍ مَسَّهَا الْعَقَمُ

ذِيدَتْ عَنِ الرُّكْنِ لَمْ تُلْمِمْ بِهِ يَدُهَا

فَأَقْبَلَتْ بِضِيَاءِ الْعَيْنِ تَسْتَلِمُ

دِيَارُهَا كَالطُّلُولِ السُّحْمِ مُوحَشَةٌ

وَفِي الرِّحَابِ وَفُودُ الْخَلْقِ تَزْدَحِمُ

وَفِي البِلادِ بِتَعْدَادِ الْبِلادِ عَلَتْ

مَنَاحَةٌ مَا رَأَتْ أَمْثَالَهَا الأُمَمُ

وَرَاءَ كلِّ سَرِيرٍ مَثَّلُوهُ بِهِ

مِنَ الجَمَاعَاتِ مَا لَمْ يَجْمَعِ الرَّقَمُ

لَمْ تَشْهَدَ الْعُرْبُ يَوْماً فِي فَوَادِحِهَا

كَذَلِكَ الْيَوْمِ مَشْهُوداً وَلا الْعَجَمُ[١]

يعكس الشاعر عن طريق وصفه للطبيعة والأماكن مثل "لبنان" و"مصر" تأثير الفواجع والألم على الهوية الثقافية. فالصورة الشعرية الغنية تُبرز كيف تترك الأحداث المأساوية أثرًا عميقًا على النفوس، حيث تصبح الأوطان مأوى للأحزان، مما يُبرز التوتر بين الجمال الطبيعي والألم الداخلي. ويتمحور النص حول فكرة التضامن الإنساني في مواجهة المصائب، حيث تسعى المجتمعات للتعبير عن أحزانها بشكل جماعي، مما يخلق شعورًا بالانتماء رغم المعاناة. تشير الجوانب النفسية إلى استشعار الألم الجماعي الذي يتجاوز الفرد، إذ يُظهر الشاعر كيف أن الأحداث الطاحنة تؤثر على الكل، بينما اجتمعت المياه والأشجار حول تلك الآلام. ثم، يُعد هذا التأمل دعوة لفهم حالة الوجود الإنساني في مواجهة الفقد، مُعبرًا عن قلقه حيال المستقبل وحالة العالم العربي في عصور الشدائد على الرغم من أن ميخائيل نعيمة

1 https://www.aldiwan.net/poem105257.html

كان يُعد أفضل من جبران في قصائده، إلا أن هذا التقييم يعتمد على جزالة الأسلوب ورصانة العبارة التي يتميز بها. حيث كان نعيمة أكثر تميزًا في إتقانه للوزن والقافية، وفضلا عن استناده إلى الكلاسيكية في شعره. وعلى الرغم من أنه لا يلجأ إلى الجزالة والرصانة بشكل متكرر، إلا أنه حين يفعل ذلك، يتمكن من تحقيق التوازن المثالي بين اللفظ والمعنى، مما يجعل عباراته تتسم بالوضوح والانسيابية دون تعقيد. تأتي كلماته بشكل عفوي، كأن الشاعر لم يسعَ لتكلف الصياغة أو تحديد مسار معين، بل يعبر عن أفكاره بطريقة طبيعية تبرز خبرته في استخدام الألفاظ بدقة فائقة.في قصيدته "إلى دودة"، التي اختار لها البحر الطويل على الرغم من ثقله وطوله، تمكن نعيمة من الحفاظ على إشراقة العبارة وقوتها في آن واحد. لم تُظهر تفاصيل أسلوبه أي ضعف في التركيب، بل على العكس، فقد أمضى الرصانة دون أن تؤثر سلبًا على شاعريته، بل زادتها رونقًا وجمالًا. تتجلى هذه الميزات أيضًا في قصائده التي تعتمد على بساطة الألفاظ والتعبير، مما يثبت أنه قادر على دمج الجمالية الفنية مع عمق المعنى، ليخلق نصوصًا شعرية تأسر القارئ وتجذبه نحو تأملات أعمق:

تدبيّن دب الوهن في جسمي البالي وأجرى حثيثا خلف نعشي وأكفاني
فأجـــتاز عمري راكـــضا متعثرا بأنقـــاض أمالي وأشباح أشجاني
ولولا ضباب الشك يا دودة الثرى لكنـــت ألاقي في دبيبك إيماني
فأتـــــرك أفكاري تطيع غرورها وأتـــرك أحزاني تكفّن أحزاني
وأزحـــف في عيشي نظيرك جاهلا دواعي وجدى أو بواعث وجداني
ومستـــسلما في كل أمر وحالة لحـــكمة ربي لا لأحكام إنسان[١]

عبر الشاعر عن شعوره بالتدهور الجسدي والنفسي الذي يلاحقه في مسيرته في الحياة. تؤكد الصور المستخدمة، مثل "تدبيّن دب الوهن في جسمي البالي"، على صراع الشاعر مع الشيخوخة والفقدان، مما يثير تساؤلات حول معنى الحياة وأبعادها. يصور الشاعر كيف أن الأمل والأحلام تغدو أشباحًا تُلاحقه، ما يعكس حالة من الإحباط والقلق الوجودي. ولقد تم ترسيم صورة معقدة للشعور بالعجز والاستسلام، حيث يُقر الشاعر بأن لديه إيمانًا خفيًا يُساعده على مواجهة التجارب. ومع ذلك، تظهر التساؤلات حول دواعي هذا الإيمان، مما يؤدي إلى تبادل بين الألم والراحة. يختتم الشاعر بنبرة من الاستسلام الحكيم، مُعبّرًا عن تقبله لما يُكتبه القدر، وهذا يُظهر كيف يجد الأفراد في الحياة معاني جديدة حتى في أوقات الضعف والفقد، مما يعزز من رابطة التجربة الإنسانية المشتركة. وتتضح مكانة الحنين

(١) نعيمة ميخائيل: همس الجفون (ص ٨٣ ٨٤).

في قصيدة "أخي!" لميخائيل نعيمة من خلال مشاعر التذكر والشوق إلى الأوطان والأحباء الذين فقدوا خلال الحرب:

أخي!
أخي! إنْ ضَجَّ بعدَ الحربِ غَرْبِيٌّ بأعمالِهْ
وقَدَّسَ ذِكْرَ مَنْ ماتوا وعَظَّمَ بَطْشَ أبطالِهْ
فلا تهزجْ لمن سادوا ولا تشمتْ بِمَنْ دَانَا
بل اركعْ صامتاً مثلي بقلبٍ خاشِعٍ دامٍ
لنبكي حَظَّ موتانا
* * *
أخي! إنْ عادَ بعدَ الحربِ جُنديٌّ لأوطانِهْ
وألقى جسمَهُ المنهوكَ في أحضانِ خِلاّنِهْ
فلا تطلبْ إذا ما عُدْتَ للأوطانِ خلاّنَا
لأنَّ الجوعَ لم يتركْ لنا صَحْبَاً نناجيهم
سوى أشْبَاحِ مَوْتَانا

يعكس النص تأملًا وجوديًا عميقًا في الأثر المدمر للحرب على الأفراد والمجتمعات، حيث يتحدث الشاعر عن الحزن والفقد بأسلوب مؤثر وقوي. يجسد الشاعر مشاعر الألم والخسارة من خلال حديثه عن الموتى، مُشيرًا إلى ضرورة تذكرهم باحترام وعدم الاحتفال بانتصارات زائفة. هذا الشكل من التأمل يُبرز الصراع بين الفخر العسكري والمأساة الإنسانية، مما يعكس جانبًا فلسفيًا عن قيمة الحياة والموت.كما يتناول الجانب النفسي للاقتتال بعد الحرب من خلال إشارة الشاعر إلى الجندي العائد الذي لا يجد في الوطن إلا الذكريات المفعمة بالحزن. يُظهر ذلك مشاعر الإحباط والوحدة التي يشعر بها الأفراد في المجتمع بعد فقدان الأصدقاء والأحباء.

ويعد أبو ماضي من أكثر شعرائنا توفيقا في شعره الرصين لأنه من أكثرهم كلاسيكية. وعلى الرغم من أنه يلجأ في هذا المجال إلى إيصال فكرته غير مكترث كيف وردت العبارة أحيانا فإنه كان في الغالب يعرف كيف يطوع اللغة لفكرته فإذا بها تنساب مع أفكاره لا عوج فيها ولا أمت. ولا بأس أن نمثل لأبي ماضي في هذا المجال بمقطع من قصيدته «أبي» يتحدث فيه عن فكرة الموت، وهي ليست من أحسن شعره وليست من أردته ولكنها قوام بين ذلك سبيلا:

طريق مشـــى فيه الأوائل قبلنا من الملك الســـامي إلى عبده القن

نظنّ لنا الــدنيا وما في رحابها ... وليســت لنا إلا كمـــا الريح للسفن
تروح وتغــدو حــرّة في عبابه ... كما يتهادى ساكن السجن في السجن
وزنت بسر الموت فلسفة الورى ... فشـــالت وكانت جعجعات بلا طحن
فأصدق أهل الأرض معــرفة به ... كأكثـــرهم صـــدقا يرجّم بالظن[١]

يذكر النص الشعري تأملًا وجوديًا عميقًا في علاقة الإنسان بالمصير والوجود، حيث يستهل الشاعر بالتعبير عن حركية التاريخ وطريق الأوائل، مما يعكس وعيًا بفكرة الإرث والتواصل بين الأجيال. يشير الشاعر إلى أن الحياة ليست سوى رحلة عابرة، كما هو حال السفن في البحر، مما يُبرز هشاشة الوجود الإنساني وعجزه عن السيطرة على مصيره. هذا التأمل الفلسفي يُظهر كيف أن الأحداث والأقدار تتلاعب بالإنسان، مما يُعزز من الإحساس بالاغتراب.

وفضلا عن ذلك، يستعرض الشاعر عن طريق تصوره لفلسفة الموت كيف أن البشرية تسعى لفهم معاني الحياة على الرغم من التحديات والمآسي. يعبّر عن الفوضى الناتجة عن المحادثات غير المجدية حول الموت، مما يُعكس حالة من الإحباط والتشويش الفكري. في الختام، يرتبط الإدراك العميق للموت بطبيعة المعرفة الإنسانية، حيث يُظهر الشاعر أن الحقيقة غالبًا ما تغيب وسط الظنون، متأملًا في التعقيدات التي تصاحب الوجود والتجربة الإنسانية. ويقول ايليا ابوماضي:

ألا اسلمي يا دارُ من دارِ

تهيج أطرابي وأذكاري

وقد أُراها فأقول اسلمي

لجمع آرابي وأوطاري

حيَّتك عنا شمْأَلٌ سهْوةٌ

تسري إذا ما عرَّس الساري

تنسمتْ تسحب أذيالها

---

(١) أبو ماضي، إيليا: الديوان (٧٣١).

خلال جنات وأنهار

كأنما نُشْرةُ أنفاسها

تصدر عن حانوت عطار[١]

يُظهر الشاعر تأملًا وجوديًا عميقًا عن طريق مناجاته للدار التي تحمل ذكرياته. تتجلى في البيت الأول رغبة الشاعر في العودة إلى موطنه، مُستشعرًا قوة الذكريات التي تثير العواطف والأحاسيس. يعكس هذا التفاعل بين المكان والذكريات أهمية الهوية والانتماء، حيث تصبح الدار رمزًا للاستقرار العاطفي والروحي في حياة مليئة بالتغيرات.يُبرز الشاعر عن طريق تصويره للطبيعة المحيطة بالجغرافيا التي ينتمي إليها، مثل "جنات وأنهار" و"حانوت عطار"، العلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة. تُظهر هذه الصور الجمالية كيف أن الذكريات تُنعش الروح، مما يُعزز من الرغبة في التواصل مع الذات والماضي. لذا يُعد النص استكشافًا للجوانب النفسية للحنين، مُعبرًا عن شوق الإنسان إلى أصله وأرضه، مما يُشعر القارئ بعمق التجربة الإنسانية المتعلقة بالوطن والمكان.

علىٰ أن هذا الأسلوب الرصين الذي تخلّل شعر الرابطة القلمية أحيانا متجليا في بعض أشعار أبي ماضي ونسيب عريضة بصورة خاصة جاء ضئيلا بالمقارنة إلى الأسلوب السهل الذي غلب على شعرهم لميلهم الكبير إلى الألفاظ الرقيقة والعبارات الرشيقة والأوزان القصيرة.

الألفاظ المأخوذة من الطبيعة:

تُعد الألفاظ المأخوذة من الطبيعة إحدى أبرز ميزات أسلوب شعراء الرابطة القلمية، حيث استخدموا هذه المفردات بشكل متكرر لتوضيح أفكارهم حول قضايا الحياة والموت. وتعكس إحالتهم إلى معجم الطبيعة حبهم العميق لها، وليس نتيجة ضعف أو فقر في مخزونهم اللغوي، بل تعد سمة من سمات الشعر الرومانسي بشكل عام، كما يتضح في أعمال شعراء مثل فيكتور هوغو وألفونس دو لامارتين ولورد بايرون. يُعد هذا الاستخدام جزءًا من عمق التجربة الإنسانية لدى هؤلاء الشعراء، حيث تسهم الرموز الطبيعية في توصيل مشاعرهم وأفكارهم بطريقة تتخطى حدود اللغة التقليدية.

وفضلا عن ذلك، يعود أحد أسباب كثرة الألفاظ الطبيعية في أشعار هؤلاء الكتاب إلى البيئة المحيطة بهم، خصوصًا الطبيعة الخلابة التي نشأوا فيها، وهي بالطبع طبيعة لبنان الغنية بالتنوع. فقد تمتاز هذه البيئة بتضاريسها المتنوعة من الجبال الشامخة، والوديان السحيقة، إلى السهول المنبسطة،

1 https://www.aldiwan.net/poem62986.html

والأنهار المتدفقة. إنّ هذا التنوع الطبيعي لا يمتد فقط إلى المشهد الخارجي، بل يغذي أيضًا مخيلة الشعراء ويشكل لغتهم الشعرية. إذ يُعتبر انعكاس الطبيعة في معجمهم اللغوي تجسيدًا لتجاربهم الشخصية وعواطفهم، مما يعزز من عمق النصوص الشعرية ويجعلها أكثر حيوية وإيحاءً. من خلال هذه العلاقة الحميمة مع الطبيعة، يساهم الشعراء في إثراء أدبهم بمجموعة من الصور والمعاني التي تُثري تجربتنا الإنسانية. وإذا صحّ التعبير قلنا إن ثمة فرقا بين طبيعة غنية وطبيعة فقيرة، إن الطبيعة الفقيرة أي ذات التكوين الواحد كالصحراء – لا يمكن أن تغني اللسان، كما أن الطبيعة التي لا تمايز بين فصولها لا تبرز في اللسان بحدّة بروز الطبيعة ذات الفصول المتمايزة»[١]. وقد كانت طبيعة لبنان غنية بجبالها الشاهقة وأوديتها السحيقة وغاباتها وكرومها إضافة إلى تمايز فصولها ممّا جعلها تترك أثرا في أنفس شعرائنا.

وإذا كان استعمالهم لمفردات الطبيعة عاديا في تأملهم للطبيعة فإن توظيفهم لها في مجالات تأملية أخرى ما يلفت الانتباه ويدعو إلى التأمل.

فقد كانت الطبيعة هي التي تشكل لغتهم وتغلب على أسلوبهم حتى إننا لا تكاد نجد قصيدة تخلو من مفردات مأخودة منها، وقد تجلت هذه الظاهرة لدى شعراء الرابطة القلمية عموما لكنها تجلت بصورة خاصة لدى أبي ماضي ونعيمة وجبران. والشيء اللافت للنظر لدى جبران أن نشره في مجمله يقوم على معجم الطبيعة وتقل هذه الظاهرة في شعره، وهذا شيء يدعو إلى التساؤل حقا، هل خوضه في مجال التصوف والفلسفة هو ما قلّل اعتماده على معجم الطبيعة؟ هل الشعر بما فيه من أوزان وقواف هو ما جعله يتأخر عن زميليه أبي ماضي ونعيمة خصوصا؟ قد يكون السببان عاملا فاعلا في قلة استعماله لألفاظ طالما أغنى بها نشره، ولكنه مع ذلك كله لم يستطع الاستغناء عن الطبيعة في لغته التي جاءت شعرا ونجد هذا في مطولته المواكب وخاصة في مقاطعه التي تقوم على مجزؤ الرمل. وقد دفعه إلى هذا حديثه عن الغاب، ونورد هنا بعضا من هذه الألفاظ لندرك مدى اعتماده إياها في شعره، فهو يستعمل على سبيل المثال لا الحصر «الغابات، القطيع الراعي، الشتاء، الربيع، الناى، النسيم، الطل، النجوم، السواقي، الغمام الهضاب، البلبل، الصفصاف، السرو، الثلج، الشمس، الأغصان، الضباب، الأنهار ... لكنه يقّصر في مقاطعه التي من البسيط فلا يستعمل إلا قليلا من ألفاظ الطبيعة مثل : قطعان، من الرعاة، قمر، حقل، غيم، زهر، العرينة، الثعالب، الأسد، الزرازير، البزاة، الحجر، العشب الغدير ... أما قصائده الأربع عشر في «البدائع والطرائف» فاستعماله لمعجم الطبيعة فيها قليل نسبيا بالنسبة إلى نشره فنحن لا نعثر إلا على بعض العبارات التي تخللت قصائده التأملية مثل «ما العيش سوى ليل إذا جن انتهى بالفجر، إن الزهور

(١) عبود: ١٩٨٥ (النول والمخمل دراسته في الظاهرة الجيرانية) ص: ٧٤، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق

تمضي ولكن البذور تبقى، يصرخ الغاب، يقول الصخر، تقول الريح الحب زهر لا يعيش، فالموت صبح إن أتى ....»

ويعدّ أبو ماضي من أكثر شعرائنا استعانة بمعجم الطبيعة في إيصال أفكاره، فهو لا ينفك يستعملها لإيضاح الفكرة التي يرمي إليها وكأنه لا يستطيع بدونها أن يبلغ القارئ بما يريد ومرة أخرى لا نجد تفسيرا لهذا إلا في هذه النزعة الرومنتية التي غلبت عليهم ودفعتهم إلى أحضان الطبيعة يغرفون من معجمها.

وينجح أبو ماضي في رسم صورة شعرية تنبض بالحياة، مما يجعل القارئ يتفاعل مع النص:

كَأَنِّيَ في رَوضٍ أَرى الماءَ جارِياً

أَمامي وَفَوقي الغَيمُ يَجهَدُ بِالنَشرِ

تَوَهَّمتُهُ هَمّاً فَقُلتُ لَهُ اِنجَلي

فَإِنَّ هُمومي ضاقَ عَن وِسعِها صَدري

بِرَبِّكَ سِر حَيثُ الخَلَيُ فَإِنَّني

فَتىً لا أَرى غَيرَ المَصائِبِ في دَهري

فَأَفشَعَ حَتّى لَم أَشُكَّ بِأَنَّهُ

أَصاخَ إِلى قَولي وَما شَكَّ في أَمري

رَعى اللَهُ ذَيّاكَ الغَمامَ الَّذي رَعى

عُهودي وَأَولاني الجَميل وَلَم يَدرِ

تَظَلَّلتُ بِالأَشجارِ عِندَ اِختِفائِهِ

وَيا رُبَّ طَلٍّ كانَ أَجمَلَ مِن قَطرِ

جَلَستُ أَبُثُّ الزَهرَ سِرّاً كَتَمتُهُ

عَنِ الناسِ حَتّى صِرتُ أَخفى مِنَ السِرِّ

وَلَمّا شَكَوتُ الوَجدَ وَجدي تَمايَلَت

كَأَنَّ الَّذي أَشكوهُ ضَربٌ مِنَ الخَمرِ

وَأَدهَشَها صَبري فَأَدهَشَني الهَوى

دَهِشتُ لِأَنَّ الزَهرَ أَدهَشَها صَبري[١]

يُصور الشاعر نفسه في حالة من الضياع والتشتت، كما يتجلى في الجملة "ضاق عَن وسعِها صدري"، مما يعكس شعور الهموم التي تلاحقه وتضيق عليه. يُظهر الماء الجاري والغيم فكرة التغيير والفرار من المعاناة، متسائلاً عن طبيعة هذه الهموم التي تُثقله. يعد هذا التوتر بين الجمال الطبيعي والألم النفسي تأملاً فلسفيًا في كيفية تأثير مشاعر الفقد والقلق على وعي الإنسان ووجوده. يُظهر تأمل الشاعر في هذه العناصر الطبيعية كيف يمكن أن تكون مساعدة على الهروب من الحزن، حتى لو كان ذلك بشكل مؤقت. ولكن بينما يسعى لإخفاء مشاعره، يجد نفسه منفصلًا عن الآخرين، مما يعكس العزلة والانطواء، ويدعو القارئ للتفكير في الصراعات الداخلية التي يواجهها الأفراد في سعيهم نحو السعادة والمعنى.

وهناك سبب ثان مرتبط بهذه النزعة الرومنتية يكمن في كون شعرائنا يربطون مواضيعهم في التأمل بالطبيعة، فإذا تأملوا الإنسان قارنوه بها، وإذا تعرضوا إلى الموت تبدّت لهم أوراق الخريف المتساقطة أو الزهور الذابلة أو الغروب، وإذا نظروا إلى النفس ربطوها بمظاهر الطبيعة كما في قصيدة نعيمة من أنت يا نفسي؟ ومثلها قصيدة رشيد أيوب أنفس الشعراء التي يقول في بعض مقاطعها:

سل الكمنجة معنى أنة الوتر
والريح إن هينمت سلها عن الخبر
والطيران بكرت تشدو على الشجر
سلها وسل كل روض زاهر عطر
تجبك يا صاح هذى أنفس الشعرا[١]

(1) https://www.aldiwan.net/poem8854.html

ولقد تم التعبير عن عمق الإحساس بالبحث عن المعاني عن طريق الطبيعة والموسيقى. يتجلى التأمل الوجودي عندما يوجه السؤال إلى "الكمنجة" والريح، مما يُظهر كيف أن الفنون والطبيعة تعكسان مشاعر الإنسان وأفكاره. يُشير الشاعر إلى أن السؤال عن المعاني يمر عبر تفاعل الحواس مع العالم من حوله، حيث يُعتبر كل من الوتر والريح رمزًا للتعبير عن الألم والفرح، مما يُعزز من أهمية التجربة الحياتية. ومن الجانب النفسي، يحمل النص طابعًا تأمليًا يستند إلى العلاقة الحميمة بين الشاعر وعالمه الطبيعي. يُعبر عن رغبة ملحة في الاتصال بمكنونات الذات والأفكار عن طريق استنطاق العناصر الطبيعية. يُظهر الاستفهام عن "الروض الزاهر" أن الشاعر يسعى للعثور على جواب يخفف من وزنه الوجودي، ويدعو القارئ للاندماج في تجربة الشعراء الوجودية، حيث تكمن الأجوبة في أصداء الطبيعة والفنون التي تحاكي مشاعر الإنسان وتعبر عن قضاياه العميقة.

أو يأتي ذلك على سبيل التشبيه كما هي الحال لدىٰ نسيب عريضة في قصيدته «يا نفس» التي يشبه فيها النفس بالحمامة وما يستتبع ذلك من مظاهر الطبيعة المحيطة بها.

أحمـــامة بين الرياح قد ساقها القدر المتاح
فابتل بالمطر الجناح يا نفس مالك ترجفين ؟[٢]

يُعد الاستخدام الرمزي للطبيعة وسيلة بارزة في أعمال أبي ماضي، حيث تظهر ذلك بشكل واضح في قصائده مثل "الغدير الطموح" و"التينة الحمقاء" و"الضفادع والنجوم"، بالإضافة إلى قصصه مثل "الشاعر والملك الجائر". في هذه الأعمال، لا يكاد يطرح أبو ماضي رأيًا في مواضيع الحياة أو الموت أو طبيعة الإنسان، إلا وتكون الطبيعة رافدًا قويًا لمساعدته في بناء معجمه اللغوي. يُظهر هذا التأثير كيف أن الطبيعة لا تُعتبر مجرد خلفية للأفكار، بل هي عنصر حيوي يُغذي التجربة الشعرية ويعطي الحياة للمواضيع التي يتناولها الشاعر، مما يُعزز من فعالية التعبير الشعري.

عندما نتأمل الصفات المرتبطة بالألفاظ الطبيعية التي استخدمها أبو ماضي، يمكننا أن نفهم مدى اعتماده على معجم الطبيعة كمصدر للإلهام والعاطفة. يتباين مستوى هذا الاستخدام من شاعر إلى آخر، لكن يبدو أن أبو ماضي قد حظي بأكبر قدر من الاستفادة منه، مما جعل لغته غنية ومعبرة. إذا استندنا إلى أبيات من قصيدته "فلسفة الحياة"، سنرى كيف كانت المفردات الطبيعية لها دور جوهري في توضيح الأفكار وإيصال الرسائل بوضوح وجاذبية. إن نجاحه في هذا الاستعمال يُظهر براعة الشاعر في ربط

---

(١) أيوب، رشيد: أغاني الدرويش (ص ٩٦).

(٢) عريض، نسيب: الأرواح الحاشرة (ص ٨٧).

المفاهيم الإنسانية بالتجارب الطبيعية، مما يجعله أحد أبرز شعراء الرابطة القلمية الذين أبدعوا في استخدام عناصر الطبيعة كوسيلة للتعبير الأدبي العميق.

إن شرّ الجناة في الأرض نفس تتـــــوقى قبل الرحيل الوحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فــوقها الندى إكليلا
فتمتع بالصبح مادمت فيه لا تخف أن يزول حتى يزولا
كل نجم إلى الأفول ولكن آفة النجم أن يخاف الأفولا
غاية الورد في الرياض ذبول كن حكيما واسبق إليه الذبولا
وإذا ما وجدت في الأرض ظلا فتـــــفيأ به إلى أن يحولا
وتوقع إذا السمـــــاء اكفهرّت مطرا في السهول يحيي السهولا[1]

يذكر الشاعر في هذا النص معاني الحياة والفناء عن طريق تأملات وجودية حول طبيعة الإنسان وموقفه تجاه الوجود. يُظهر الشاعر كيف أن النفس التي تخاف من الرحيل هي «شرّ الجناة»، حيث بلادة الوعي تجعلها تعمى عن جماليات الحياة، كما يظهر في صورة الشوك والندى. هذه الفكرة تعكس الصراع النفسي بين القدرة على الاستمتاع بالحياة والقلق من الفقد، مما يُبرز أهمية الوعي والقدرة على تقدير اللحظات الجميلة، حتى لو كانت مؤقتة.

وفي الجانب الفلسفي، يُشير الشاعر إلى حتمية زوال الأشياء، عن طريق تصويره لنجم ينزلق نحو الأفول. يُظهر هذا التأمل أهمية التمتع باللحظات الآنية، داعيًا إلى التقدير الحكيم للوجود. النص يؤكد على أن الورد في الرياض مُصاب بالذبول مع مرور الوقت، مما يعكس طبيعة الحياة الزائلة. وبالتالي، يُحفز الشاعر القارئ على الاستفادة من الفرص الحاضرة، واحتضان الظلال التي تقدمها الحياة، بدلاً من القلق المستمر حول المستقبل، لأن الفناء جزء لا يتجزأ من الوجود ويجب التصالح معه.

ويبدو لنا من هذه الأبيات أن أبا ماضي كان أحيانا يكثر من التمثيل بالطبيعة لا لشيء إلا ليوضح الفكرة، بل إنه غالى في قصيدته هذه عموما فراح يعطي المثال تلو المثال من الطبيعة ليتعظ الإنسان به. فهو يعطيه مثالا من الطير الذي يشدو على الرغم من تربص الصياد والصقر به، ويستطرد في الوصف ما شاء له الوصف ثم يعود إلى التعريج على الفكرة التي بدأ منها وهي خوف الإنسان من الموت فيخبره أن الخلود مستحيل ثم يأتي بالأمثلة الكثيرة من الطبيعة. وفي هذا المقطع مثلا نجد أن البيت الخامس غاية الورد في الرياض ذبول) نفس البيت الرابع كل نجم إلى الأفول) والبيت السادس (وإذا ما وجدت في الأرض ظلا .... حتى يحولا) نفس البيت الثالث (فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... حتى يزولا) وهذا

(١) أبو ماضي، إيليا: الديوان (ص٦٠٤، ٦٠٥)

التكرار هو الذي أثقل القصيدة بألفاظ من الطبيعة. وهو عندما يدعو الإنسان إلى التفاؤل بعد هذا المقطع يأتي بأمثلة كثيرة تؤدى الغرض نفسه كن هزارا في الروض ... لا غرابا، كن غديرا يسير في الأرض رقراقا ... لا وعاء يقيد الماء»، «كن مع الفجر نسمة .... لا سموما»، ومع الليل كوكبا لا دجى. وهذا عكس ما نجده لدى ميخائيل نعيمة الذي لا يلجأ إلى معجم الطبيعة إلا إذا استلزم الأمر ذلك، فهو في قصائده الخير والشر والعراك» و«الما رأيت الناس» و «دمك الأيام لا يستعمل إلا ألفاظا قليلة من الطبيعة، وإذا كان قد أكثر من ألفاظ الطبيعة في من أنت يا نفسي» و «ابتهالات» فلان الموضوع تطلب ذلك، فهو في «ابتهالات» يرى الله.

في جميع الخلق: في دود القبور
في نســـور الجوّ في موج البحار
في صهاريج البراري، في الزهور
في الكلا، في التبر، في رمل القفار[١]
ويسمه نداء الله :
في ثغاء الشاة في زار الأسود
في نعيق البوم، في نوح الحمام
في خرير الماء، في قصف الرعود
في هدير البحر، في زحف الغمام
في عنا البلبل، في ندب الغراب
في دبيب النمل، في هب الرياح
في طنين النحل، في زعق العقاب
في صراخ الليل، في همس
الصباح[٢]

يتأمل الشاعر في هذا النص الوجودي في طبيعة الحياة والكون، مستعرضًا الصوت الذي يجمع بين الكائنات في جميع مظاهر وجودها. يبدأ بتصوير مختلف أشكال الحياة من "دود القبور" إلى "نسور الجو"، مما يبرز اتساع دائرة الوجود وتعقيداته. تُعكس هذه الصور المتنوعة فكرة الوحدة بين جميع أشكال

(١) نعيمة، ميخائيل : همس الجفون ص ٣٥)
(٢) نعيمة، ميخائيل : همس الجفون (ص ٣٦)

الحياة، حيث يُظهر كيف أن كل شيء في الكون يعبّر عن وجوده عن طريق أصواته الخاصة، مُشددًا على أهمية كل كائن ودوره في نظام الحياة.

من الجانب النفسي، يعكس النص انفتاح القلب على جماليات الحياة، فيتحدث عن الأصوات التي تُرافق مختلف اللحظات، مثل "خرير الماء" و"هدير البحر". هذه العناصر تعكس تجربة إنسانية شاملة، تتراوح بين الصخب والهدوء، مما يُشعر القارئ بعظمة الكون ودور كل كائن فيه. يُحمل النص دعوة للتأمل في كل ما يحيط بنا، إذ يُشجع القارئ على الاستماع إلى نداء الله في هذه الآيات الطبيعية. بالتالي، يتضح أن الفهم العميق لوجودنا يكمن في الانتباه إلى التفاصيل الصغيرة والعلاقة المتبادلة بين جميع مظاهر الحياة، مما يعزز من تقديرنا لوجودنا في هذا الكون الواسع.

ولكنه لم يكرّر في معانيه كما فعل أبو ماضي.

ظاهرة الهمس:

لقد تمشىٰ الهمس في ألفاظ شعراء الرابطة القلمية في شعرهم التأملي وغير التأملي على السواء. وظاهرة الهمس تطغى على الجهر في شعرهم التأملي لأنهم يخاطبون الوجدان في الأغلب الأعم. وقد استطاع عالم النفس الذي استهواهم أن ينقذهم من الجلبة اللغوية والقوقعة اللفظية فجاء أسلوبهم رقيقا لا يخدش الأذن ولا يروع السمع. ويعدّ الدكتور محمد مندور أول من أشار إلى هذه الظاهرة في شعر المهجرين في كتابه «في الميزان الجديد» وتوالى بعده الدارسون فأشاروا إلى هذه الظاهرة في أسلوب المهجرين من أمثال الدكتور محمد مصطفى هداره في كتابه «التجديد في الشعر المهجري» والدكتور كمال نشأة في كتابه «شعر المهجر» والدكتورة نادرة السراج في كتابها «شعراء الرابطة القلمية» وغيرهم من الدارسين الذين تناولوا الشعر المهجري. ويعرف الدكتور محمد مندور مفهوم الهمس فيقول: «الهمس ليس معناه الارتجال فيتغنى الطبع في غير جهد ولا إحكام صناعة وإنما هو إحساس بتأثير عناصر اللغة واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجد، وهذا في الغالب لا يكون من الشاعر عن وعي بما يفعل وإنما هي غريزته المستنيرة ما تزال به حتى يقع على ما يريد[١] وقد استطاع شعراء الرابطة القلمية بغريزتهم المستنيرة أن يستخدموا عناصر اللغة استخداما يؤثر في النفس، ويقع فيها موقع السحر. ويرد الدكتور محمد مصطفى هدارة هذا الأسلوب الهامس إلى الاغتراب والحنين ومرارة الجهاد من أجل العيش في أرض الغربة، فقد كان هؤلاء يعانون من الفقر والجوع والأمر حتى رقت مشاعرهم وشفّت أرواحهم فجاءت لغتهم تعبر عن رهافة الحس وتحمل ذلك الهمس[٢]. أما الدكتور محمد مندور فيرد

(١) مندور، محمد في الميزان الجديد (ص ٦٩) مكتبة نهضة مصر، الفجالة، مصر

(٢) هدارة، محمد مصطفى : ١٩٧٥ التجديد في الشعر المهجري (ص ١٨٨) ط١، دار الفكر العربي

ذلك روحانية المسيحية وما في كتبتها المقدسة من شعر مرهف هامس[١]. والسببان يكمل بعضها بعضا فالأول يعتمد على معاناة شعرائنا في العالم الجديد، وما استتبعه من رقة في العاطفة وشفافية في الروح، والسبب الثاني يرتكز إلى مؤثرات ثقافية تتمثل في الكتاب المقدس. ونضيف هنا سببا آخر يبدو لنا ذا أهمية وهو تلك النزعة الرومنتية التي أخذت بمجامع قلوبهم لأننا نرى أن الشعر الرومنتي عموما يحمل ذلك الهمس لأنه يخاطب الوجدان، كما أن لغوص هؤلاء في عوالمهم النفسية أثرا في سريان الهمس في أشعارهم. كما نذهب إلى أن صخب الحياة المادية في العالم الجديد من اعتراك الحديد بالحديد ولد لديهم ردّ فعل فراحوا يهمسون في أشعارهم كأنها يقولون سرّا في عالم لا يسمع إلا صوت المادة. ونضيف هنا أن الشعر التأملي نتيجة التفكير الصامت عادة ما يأتي أقرب إلى الهمس منه إلى الجعجعة والجلبة اللغوية.

ويقول نسيب عريضة:

يا نفسُ كم ذا تَطمَحين
أصعِدتِ في رَكبِ النُّزوع
حتى وصلتِ إلى الرُّبوع
فأتاكِ أمرٌ بالرُّجوع
أعلى هُبوطكِ تأسَفين
أم شاقَك الذِّكرُ القديم
ذكرُ الحِمى قبلَ السَديم
فوقَفتِ في سِجن الأدِيم
نحو الحِمى تتلفَّتين
أأَضعتِ فِكراً في الفَضاء
فتبعته فوقَ الهَواء
فنأى وغلغلَ في العَلاء
فرَجَعتِ ثَكلى تَندُبين
أسلكتِ في قُطر الخَيال
دَرباً يقودُ إلى المُحال
فحطَطتِ رَحلكِ عند آل
يَمتصُّ رِيَّ الصادرين

(١) مندور: محمد النقد والنقاد المعاصرون (ص ٤١) دار القلم للطباعة والنشر، بيروت

فنسيتِ قصدك والطِّلاب
ووقَفتِ يذهِلُك السَّراب
وهرَقتِ فضلاتِ الوِطاب
طمعاً بماءٍ تأمُلِين
حتى إذا اشتدَّ الأوام
والآلُ أسفر عن رُكام
غيَّبتِ رأسك كالنَّعام
في رمل قلبي تَحفرين

يذكر الشاعر نسيب عريضة في هذا النص التأمل الوجودي فيما يتعلق بالصراع الداخلي للنفس والبحث عن المعنى. يبدو أن الشاعر يستنطق النفس، سائلاً إياها عن طموحاتها وأحلامها، ويتفحص مسارها في رحلة الحياة. تُظهر الكلمات "كم ذا تَطمَحين" و"أصعِدتِ في رَكبِ النُّزوع" جديّة هذا البحث، حيث تتساءل النفس عن مساراتها، بينما يُبرز "أمرٌ بالرُّجوع" الخيبة التي تواجهها بعد رحلة شاقة. إن هذا التأمل يُظهر كيف يمكن للنفس أن تنجذب نحو الأماني والأحلام، لكنها سرعان ما تُوجد في حالة من الارتباك عندما يتجلى الفشل. ويكشف النص عن مشاعر الندم والخسارة، حيث تعود النفس إلى "جنات" قديمة كانت مفقودة، تشعر بفراغ داخلي نتيجة للخيارات التي اتخذتها. يُظهر الشاعر كيف يمكن أن تُخدع النفس بأحلام غير واقعية، كما هو موضح في استعمال "سجن الأديم" و"درباً يقودُ إلى المُحال". تلك الأحلام تُثير الإحباط، مما يدفع النفس إلى الشعور بالضياع عندما تُخفق في تحقيق أهدافها. في النهاية، يعود الشاعر لتصوير حالة من الاستسلام، حيث تُغرق النفس في "رمل قلبي" وتبدأ في الحفر بحثًا عن الأمل، مما يعكس الصراع المتواصل بين الطموح والواقع والمشاعر الإنسانية العميقة.

ولنأخذ أبياتا لنسيب عريضة من قصيدته «يا نفس» التي كان قد اختارها الدكتور محمد مندور مستشهدا بما فيها من همس لعباراتها القصيرة وموسيقاها الخفيفة وألفاظها المألوفة، فنسيب هنا يهمس إلى نفسه أن تترك الأنين حتى لا تؤلم الآخرين بأنينها وكأنه يهمس في أذن طفل صغير أخذ يبكي في هدأة الليل داعيا إياه إلى السكون والصمت حتى لا يوقظ النائمين. وعلى الرغم مما يبدو في بعض مقاطعها من همس عمال فإنها ظلت تحتفظ بهمسها في كثير من أبياتها، ولعل ما زاد في ظهور هذا الهمس هذا الحزن الذي استبد بالشاعر حتى أرهف إحساسه، وعادة ما يأتي الحزن مقرونا بالحديث الهامس. وكذلك فإن الليل يوحي بالسكون والهدوء وذلك الصمت يدعو إلى الهمس والخفوت. وقصيدة نسيب هو حديث النفس إلى النفس فلا غرو أن يغلب الهمس على ألفاظها، فكلمة «الأنين، الحنين، كتمته، الليل «كلمات هامسة. وكذلك

حسن استخدام عناصر اللغة في العبارة ساعدت على هذا الهمس «الليل مر على سواك، أفما دهاهم ما دهاك»؟

يا نفس مالك والأنين؟ تتـــألمين وتؤلمين
عذبت قلبي بالحنين وكتمته ما تقصدين ؟
الليل مرّ على سواك أفـــمـــا دهـــاهـــم مـــا دهـــاك ؟
فلم التمـــرد والعراك ما سور حبسي بالمتين
أطلقت نوحك للظلام إياك يســـــمعك الأنام
فيظـــــن زفرتك النيام بوق النشور ليوم الدين[١]

يستعرض الشاعر في هذا النص الصراع الداخلي للنفس وتأملاتها في الألم والمعاناة. يتساءل الشاعر في البيت الأول عن سبب أنين النفس ومعاناتها، مما يعكس حالة من القلق الوجودي، حيث تُعذب النفس نفسها وتُعذب الآخرين بآلامها الداخلية. إن سؤال "كتمته ما تقصدين؟" يشير إلى التناقض الذي تعيشه النفس، فهي تتألم وتكتم آلامها، مما يزيد من حدة الصراع الداخلي. يظهر هذا النضال بين الحنين والذكريات الرومانسية، حيث تتأمل النفس في معاناتها وتبحث عن مرجعية لألمها.

في الجانب النفسي، يُتطرق النص إلى انعكاسات الألم عن طريق تصوير الليل كرمز للظلام والوجع الذي يخيّم على النفس. يشير الشاعر إلى فكرة التمرد والعراك كوسيلة للتعبير عن الانكسار الداخلي، حيث يُفهم الحب كحبس مُستمر، مما يعكس الشعور بالعزلة. بينما تطلق النفس أنينها في الظلام، يُشير الشاعر إلى أن هذا الصوت قد يُفهم بشكل خاطئ من قبل الآخرين، مثل "النيام" الذين لا يعرفون مقدار الألم الحقيقي. تُظهر هذه اللحظات الوجدانية كيف أن الإنسان يُعاني في صمته، مما يعكس واقعًا وجوديًا يتسم بالألم والعزلة، ويرتبط بتجارب ذاتية جمعها الشاعر من تجربته الإنسانية العميقة.

ولم يكن هذا الهمس في مناجاتهم للنفس فحسب بل كثيرا ما كانت قصائدهم التأملية في الطبيعة تحمل طابع الهمس، فهم كثيرا ما يخاطبون أنفسهم فيها، وهذا يدل على انعدام الحاجز بين الشاعر والطبيعة من حوله فهو يرى فيها آماله وآلامه أفراحه وأتراحه وكأنها مرآة تعكس ما في نفسه. فهو إذا تأمل أوراق الخريف المتساقطة رأى فيها الفناء الذي ينتظره، وإذا تأمل البحر رأى فيه حياته التي يعتورها المد والجزر، وإذا تأمل الليل رأى – فيه أحلامه أو الموت الذي يأتي على الحياة وهكذا كان شعراؤنا يهمسون في أذن الطبيعة وكأنهم يرثون لحالهم إذا رأوا فيها ما يشجيهم ويحزنهم، أو يضفون عليها أفراحهم إذا انتابتهم مسرة. وهذا ميخائيل نعيمة في قصيدته «النهر المتجمد» يخاطب النهر في

(١ عريضة، نسيب: الأرواح الحائرة (ص ٨٧).

صوت مهموس فيه عتاب الصديق للصديق أو الأخ للأخ. وهو يهمس في أذن النهر بنغمة حزينة، والإنسان الغريق عادة ما يهمس لأن صوته يشف حتى ما يكاد يبين، وهكذا كان حال نعيمة مع نهره، فقد طهره الألم حتى رقت مشاعره فإذا بالألفاظ الهامسة تنساب من فم قلمه والقصيدة في مجملها مناغاة ومناجاة ناعمة رقيقة آسرة تكشف عن شفافية الشاعر ورقته فألفاظ مثل «الخرير، مرنّما، تتلو» تدل على الهمس، وكذلك ابتداءه بـــ يا نهر تدل على مدى القربي والألفة بينهما، فهو نداء هامس إلى قريب أو أليف.

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير
بالأمـــس كنت مرنّما بين الحدائق والزهور
تتلو على الـــــدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمـــس كنت إذا سمعت تنهدى وتوجعّي
تبكي... وها أبكي أنا وحدي ولا تبكي معي[١]

عبّر الشاعر عن تأملاته الوجودية باستخدام صورة النهر كرمز للحياة والتغيير. يبدأ الشاعر باستفهام يتناول حالة النهر، مستخدمًا علامات الاستفهام لتسليط الضوء على احتمالين: إما أن المياه قد نضبت، ما يشير إلى فقدان الحيوية، أو أن النهر قد "هرم" وانحنى عن مساره، مما يرمز إلى الإرهاق والشيخوخة. يُظهر هذا التردد القلق حول الفقد والتغير الذي قد يطرأ على كل ما هو حي، مما يعكس شعورًا عامًا بالانكسار ونقص الرغبة في الحياة.

على المستوى النفسي، يُظهر الشاعر مشاعر الوحدة والحزن، حيث يؤكد على الفجوة بينه وبين النهر الذي كان مصدرًا للفرح والحياة. يعبر الشاعر عن انكسار قلبه عندما يرى أن النهر، الذي كان في السابق يخاطب الدنيا بأحاديثه، أصبح صامتًا. تتفاقم مشاعر الحزن عندما يُدرك أنه يبكي وحده، مُجسّدًا الشعور بالعزلة في الألم، وهو حقيقة مؤلمة يعيشها الكثيرون. يتلاعب الشاعر بنبرة الحزن والحنين، مما يوحي بأن الحياة ليست دائمًا كما نتمنى، إذ تنتابها لحظات من الفقد والتغير التي يمكن أن تترك الإنسان في حالة من الشك والتساؤل حول معاني الحياة.

وديوان نعيمة كله تقريبا همس وليس اعتباطا أن . يسمي ديوانه همس الجفون فقد كان فيه يخاطب العواطف كما يخاطب العقل بلغة هادئة صافية فيها رقة وعذوبة، لذلك كان شعره يقع في النفس موقع الأسرار التي يتهامس بها الناس[١] كما يقول الدكتور محمد مندور.

---

(١) نعيمة ميخائيل: همس الجفون (ص ١٠)

النتائج

يُعد التأمل الوجودي أحد أبرز الموضوعات التي تعكس عمق تجارب شعراء الرابطة القلمية، حيث يعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم المتعلقة بالوجود الإنساني وكل ما يتصل به. يستند هذا التأمل إلى فكر فلسفي عميق يستكشف معنى الحياة، الموت، الهوية، والعلاقات الإنسانية. من هذا البحث، تم تسليط الضوء على كيف تمكن هؤلاء الشعراء من دمج أفكارهم الوجودية مع مواقفهم النفسية في نصوصهم، مما أدى إلى إنتاج شعر يعكس قلق الإنسان المعاصر وتطلعاته.

تظهر الفلسفة الوجودية في شعراء الرابطة القلمية عن طريق انغماسهم في التجربة الذاتية، حيث يسعون لتجاوز القضايا السطحية إلى استكشاف المسببات العميقة للمعاناة والألم. على سبيل المثال، يستخدم شعراء مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الرموز الطبيعية والتجارب الشخصية لإيصال أفكارهم. فهم يعبرون عن قلقهم حول الهوية والبحث عن الذات، مما يجسد تجربة الإنسان الذي يعيش في عالم مليء بالتحديات والتناقضات. فضلا عن ذلك، تُظهر القصائد التي كتبها شعراء الرابطة القلمية تأثير الفلسفة الوجودية على المفاهيم النفسية، مثل الوحدة والعزلة. يتناول الشعراء مشاعر الغربة والافتقاد، حيث يعكسون الصراع الداخلي بين الأمل واليأس. تستحضر كتاباتهم مشاعر الحزن والاكتئاب في بعض الأحيان، مما يعكس طبيعة الإنسان المتقلبة في مواجهة الضغوط والمتغيرات الحياتية. كما يُظهر استخدامهم للألفاظ المأخوذة من الطبيعة كيف أن البيئة المحيطة تلعب دورًا محفزًا في فهمهم لوجودهم.

كما يتضح من هذه الكتابات، أن التأمل الوجودي في شعراء الرابطة القلمية يشمل أيضًا البحث عن المعنى في الحياة. تطرح قصائدهم تساؤلات عميقة حول الغرض من الوجود وكيفية تحقيق الرفاه النفسي. يُعبر الشعراء عن رغبتهم في فهم طبيعة الحياة، وعن كيفية إيجاد السعادة والراحة في خضم الصراعات الداخلية والخارجية. يظهر هذا عن طريق استعانتهم بالصورة الشعرية كوسيلة لاستكشاف القضايا الوجودية التي تشغل بالهم. فإن التأمل الوجودي في شعر شعراء الرابطة القلمية يمثل رحلة عميقة نحو فهم الذات والعالم. عن طريق استكشاف الجوانب الفلسفية والنفسية لهذا التأمل، يتضح كيف يساهم الشعر في تقديم رؤى جديدة حول الوجود الإنساني. إن قدرة هؤلاء الشعراء على دمج الأفكار الفلسفية مع المشاعر الإنسانية جعلت من أعمالهم مصدرًا ثريًا للتأمل والتفكر، مما يُعزز من أهمية الرابطة القلمية كتيار أدبي استثنائي يُعبر عن روح الإنسان المعاصر بعمق وجاذبية.

تتميز لغة شعراء الرابطة القلمية بتنوعها وثرائها، حيث يسعون إلى استخدام ألفاظ مأخوذة من معجم الطبيعة والبيئة المحيطة بهم، مما يعكس حبهم للطبيعة وتقديرهم لجمالها. يتميز أسلوبهم بقدرته على

---

(١) مندور، محمد النقد والنقاد المعاصرون (ص (٤١).

توصيل الأفكار المعقدة بشكل بسيط وفعّال، مما يجعل نصوصهم قادرة على تأثر القارئ وإشعاره بالعمق العاطفي. إن استخدامهم للصور الشعرية والرموز الطبيعية لا يُضيف فقط بعدًا جماليًا، بل يُكثف أيضًا المعاني، مما يجعل العلاقة بين الشكل والمضمون متآلفًا بطبيعتها.

تتجلى الملاءمة بين الشكل والمضمون في قدرتهم على تكييف بنية القصائد والأسلوب مع الموضوعات التي يتناولونها. شعراء مثل جبران ونعيمة يتبنون أساليب متنوعة تتراوح بين الرصانة والجزالة، مما يتيح لهم تحرير معانيهم من القيود التقليدية ويعطي نصوصهم طابعًا خاصًا. فالشكل، الذي يشمل الوزن والقافية، يتعاون مع المحتوى ليعبر عن أفكارهم حول الوجود والحياة بشكل متسق ومؤثر. لذلك، لا يشعر القارئ بفصل بين الأسلوب الفني الذي يستخدمونه والمفاهيم التي يحاولون إيصالها.

إلى جانب ذلك، تبرز قدرة هؤلاء الشعراء على تحقيق التوازن بين الشكل والمضمون كميزة فائقة في شعرهم. فهم لا يقتصرون على استخدام اللغة بمعناها السطحي، بل يسعون إلى إعطائها عمقًا دلاليًا يجعل النصوص أكثر غنى وإيحاءً. هذه الملاءمة تجسد رحلة الشعراء في استكشاف الذات والوجود الإنساني، حيث يصبح الشكل الفني وسيلة لازمة للتعبير عن تجاربهم وتفاعلاتهم مع العالم من حولهم. بالتالي، تعزز هذه العلاقة بين اللغة والأسلوب مضمون أعمالهم وتدفع بالقارئ إلى التفكير والتأمل، مما يجعل شعراء الرابطة القلمية في مقدمة الحركة الشعرية العربية الحديثة.

المصادر

- أبو ماضي، إيليا، الديوان، دارالعودة، بيروت.
- أدونيس، أحمد علي سعيد، ١٩٧٨م، الثابت والمتحول، (ج ٣)، صدمة الحداثة، ط ١، دار العودة بيروت.
- أيوب، رشيد، أغاني الدرويش، ١٩٥٩م، دار بيروت، بيروت.
- جبران، جبران خليل، المواكب، ١٩٨٥م، ط٢، مؤسسة نوفل، بيروت.
- جمع رضا محي الدين: ١٩٢٤، بلاغة العرب في القرن العشرين (ص ٥٢) ط٢، المطبعة الرحمانية بمصر.
- خوري، ألفرد: الكلمة العربية في المهجر، د.ت، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت.
- عبود، حنا، النول والمخمل دراسته في الظاهرة الجيرانية، ١٩٨٥م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- عريضة، نسيب، ١٩٤٦م، الأرواح الحائرة، نيويورك.

- لبكي، صلاح، لبنان الشاعر، ط١، ١٩٥٤م، منشورات دار الحكمة، بيروت.
- مندور: محمد، النقد والنقاد المعاصرون، د.ت، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت.
- مندور، محمد، في الميزان الجديد، د.ت، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، مصر.
- الناعوري، عيسى، أدب المهجر،١٩٧٧م، ط٣، دار المعارف بمصر.
- نعيمة، مخائيل، الغوبال،١٩٨١م، ط١٢، مؤسسة نوفل، بيروت.
- نعيمة، ميخائيل، همس الجفون، ١٩٧٧م، ط٦، مؤسسة نوفل، بيروت.
- هدارة، محمد مصطفى، التجديد في الشعر المهجري، ١٩٧٥م، ط١، دار الفكر العربي.
- اليافي، نعيم، الشعر العربي الحديث، ١٩٨١م،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

Reference

•Abu Madi, Elia, Al-Diwan, Dar Al-Awda, Beirut.

•Adonis, Ahmed Ali Saeed, 1978, The Constant and the Changing (Vol. 3), The Shock of Modernity, 1st ed., Dar Al-Awda, Beirut.

•Ayoub, Rashid, Songs of the Dervish, 1959, Dar Beirut, Beirut.

•Gibran, Gibran Khalil, Processions, 1985, 2nd ed., Nawfal Foundation, Beirut.

•Rida Muhyiddin, compiled: 1924, The Rhetoric of the Arabs in the Twentieth Century (p. 52), 2nd ed., Al-Rahmaniya Press, Egypt.

•Khoury, Alfred: The Arabic Word in the Diaspora, n.d., Dar Al-Rihani for Printing and Publishing, Beirut.

•Abboud, Hanna, The Loom and Velvet: A Study of the Neighborly Phenomenon, 1985, Arab Writers Union Publications, Damascus.

•Arida, Naseeb, 1946, Lost Souls, New York.

•Labaki, Salah, Lebanon the Poet, 1st ed., 1954, Dar Al-Hikma Publications, Beirut.

•Mandour, Muhammad, Contemporary Criticism and Critics, n.d., Dar Al-Qalam for Printing and Publishing, Beirut.

•Mandour, Muhammad, In the New Balance, n.d., Nahdet Misr Library, Faggala, Egypt.

•Al-Naouri, Issa, Literature of the Diaspora, 1977, 3rd ed., Dar Al-Maaref, Egypt.

•Naima, Mikhail, Al-Gubal, 1981, 12th ed., Nawfal Foundation, Beirut.

•Naima, Mikhail, Whispers of the Eyelids, 1977, 6th ed., Nawfal Foundation, Beirut.

•Haddara, Muhammad Mustafa, Renewal in Diaspora Poetry, 1975, 1st ed., Dar Al-Fikr Al-Arabi.

•Al-Yafi, Naim, Modern Arabic Poetry, 1981, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus.